International Journal of Advanced Research in Islamic Studies and Education (ARISE)
e-ISSN 2785-9088

تأثير تفسير الكشاف للزمخشري على علماء التفسير في اليمن من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر الهجري

[THE INFLUENCE OF AL-KASHSHAF'S INTERPRETATION OF AL-ZAMAKHSHARI ON SCHOLARS OF INTERPRETATION IN YEMEN FROM THE NINTH CENTURY UNTIL THE ELEVENTH CENTURY AH]

KHALID 'ABD ALLAH 'ABD AL-NABI AL-SAQQAF[1*] & NOR HAFIZI YUSOF

[1*] Fakulti Pengajian Kontemporari Islam, Universiti Sultan Zainal Abidin, 21300, Kuala Nerus, Terengganu, Malaysia.
Corespondent Email: nhafizi@unisza.edu.my

Received: 11 February 2023 *Accepted: 28 March 2023* *Published: 21 April 2023*

Abstract: What is present and circulating in history books, beliefs and doctrinal currents in Yemen is the influence of the Mu'tazili thought on the scholars of the Zaidi sect, since the advent of Imam Al-Hadi Yahya bin Al-Hussein to Saada in the year 284 AH and who established his well-known state in Yemen, which entered into political and sectarian conflicts with the rest of the sects that existed at the time in Yemen, such as the Ismailis, the Qarmatians, and other states, Kaili leaders, and fiefdoms. It is known that Imam al-Hadi was influenced by the Mu'tazili thought, and this led to the dyeing of his state with Mu'tazili thought, which was later reflected in the scientific schools that arose in the areas of Zaydi rule through the approved curricula in teaching in these schools, especially in the science of interpretation, and this was evident in The adoption of Al-Zamakhshari's Book of Scouts as a methodological book taught to students in the higher stages of education, and it was also reflected in the books of interpretation of the scholars of the Zaydi school of thought, in which their influence on Mu'tazili thought in the interpretation of the Holy Qur'an is evident. Abbreviation and quote from it. The aim was to clarify the extent of the influence of al-Zamakhshari's book al-Kashshaf on the attitudes of scholars of interpretation in Yemen in the ninth and eleventh centuries AH, and its reflection on their writings and educational curricula that were taught in scientific schools at that time period, in addition to citing evidence from their writings to prove and confirm this. The influence, which still exists to this day among scholars of the Zaydi sect, using the inductive and analytical approach.

Key words: impact, interpretation, 'ulama.

ملخص : ان مما هو موجود ويتداول في كتب التاريخ و العقائد و التيارات العقدية في اليمن تأثير الفكر المعتزلي على علماء المذهب الزيدي ، وذلك منذ مجيء الإمام الهادي يحيى بن الحسين الى صعدة سنة 284هجرية والذي أسس دولته المعروفة في اليمن و التي دخلت في صراعات سياسية و مذهبية مع بقية الفرق التي كانت موجودة آنذاك في اليمن كالاسماعيلية و القرامطة ، و غيرها من الدويلات و الزعامات القيلية و الاقطاعيات .والمعروف عن الإمام الهادي تأثره بالفكر المعتزلي ، فأدى ذلك الى صبغ دولته بالفكر الاعتزالي ، مما انعكس فيما بعد على المدارس العلمية التي نشأت في مناطق الحكم الزيدي من خلال المناهج المعتمدة في التدريس في هذه المدارس و خصوصاً في علم التفسير، و ظهر ذلك جليا في اعتماد كتاب الكشاف للزمخشري ككتاب منهجي يدرس للطلاب في المراحل العليا للتعليم ، وانعكس ايضا على مؤلفات التفسير لعلماء المذهب الزيدي و التي يظهر فيها جليا تأثرهم بالفكر

الإعتزالي في تفسير القران الكريم وهنا تكمن مشكلة البحث ،و ايضاً إهتمامهم بكتاب الكشاف للزمخشري شرحاً له وكتابة الحواشي والتعليقات عليه والإختصار له والإقتباس منه .فكان الهدف هو توضيح مدى تأثير كتاب الكشاف للزمخشري على توجهات علماء التفسير في اليمن في القرن التاسع و الحادي عشر للهجرة وإنعكاسه على مؤلفاتهم و مقرراتهم التعليمية التي كانت تدرس في المدارس العلمية في تلك الفترة الزمنية ، إضافة الى ايراد الشواهد من مؤلفاتهم للتدليل و التأكيد على هذا التأثير و الذي لا يزال موجوداً الى يومنا هذا لدى علماء المذهب الزيدي مستعينا في ذلك بالمنهج الإستقرائي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: تأثير،تفسير،علماء.

Cite This Article:
Khalid ‘Abd Allah ‘Abd Al-Nabi Al-Saqqaf & Nor Hafizi Yusof. 2023. Ta’thir Tafsir al-Kashshaf li al-Zamakhshari ‘ala ‘Ulama al-Tafsir fi al-Yaman min al-Qarn al-Tasi’ hatta al-Qarn al-Hadi ‘Ashar al-Hijri [The Influence of al-Kashshaf’s Interpretation of Al-Zamakhshari on Scholars of Interpretation in Yemen from The Ninth Century until The Eleventh Century Ah]. *International Journal of Advanced Research in Islamic Studies and Education (ARISE)*, 3(1), 109-125.

المقدمة

يعد تفسير الكشاف من اهم المراجع لدى علماء اليمن و خصوصا الزيدية الا انهم لم يكونوا كلهم على مذهب الزمخشري في الاعتزال ، بل بعضهم تعقب اعتزالياته ورد عليه ونبه على بدعته في ذلك.

إلا ان عموم علماء اليمن ومنهم علماء التفسير تأثروا بتفسير الزمخشري، إما في إعتزالياته او في طريقة تفسيره وتركيزه على النكت البلاغية و المعاني الجميلة. لذلك سأورد في هذا البحث تعريف بالإمام الزمخشري وتعريف ايضا بكتاب الكشاف و منهجيته التي اتبعها في تفسيره ،ثم توضيح مدى التأثير الذي اوجده هذا الكتاب على علماء التفسير في اليمن وخصوصاً كما ذكر سابقاً على المفسرين من علماء المذهب الزيدي سواء في دراستهم العلمية في المراكز والمدارس العلمية أومؤلفاتهم في التفسير في الحقبة الزمنية محط الدراسة، وهذا ماسيتم تناوله في هذا البحث.

تعريفات مفردات عنوان البحث

أي بحث علمي يحتاج الى التعريف بمفردات عنوان البحث حتى يسهل على القارئ فهمها ومعرفة مدلولاتها ومعانيها، وبما أن البحث موسوم ب (تأثير تفسير الكشاف للزمخشري على علماء التفسير في اليمن من القرن التاسع حتى والقرن الحادي الهجري).

فسأعرف هذه المصطلحات لتوضيح معانيها في المناهج وكتب اللغة العربية كما يلي:

اولاً : كلمة تأثير

جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة : (أثر [مفرد] ، تأثير ، انطباع ((لا أثر له – كان للخبر أثر عميق في نفسي)) بعد الأثر / أعمق الأثر / اكبر الاثر : تأثير عظيم – بعيد الأثر : ذو أثر كبير) (Ahmad Mukhtar, 2008).

وجاء فيه أيضا في موضوع اخر تأثير (انفعال في العقل و القلب ، تحرك المشاعر أو اهتزازها) ثم ذكر التأثير فقال (إحساس قوي ملحق بعواقب فعالة)(Ahmad Mukhtar, 2008).

و جاء في تاج العروس قول المؤلف (أثر فيه تأثيراً : ترك فيه أثراً ، و التأثير: إبقاء الأثر في الشيء)-al) .Zabidi, t.th)

وخلاصة ما ذكر يدل على أن التأثير هو انفعال ينعكس على العقل و القلب ، فيترك علامة في الشيء ، وقد يكون هذا التأثير ايجابي او سلبي .

ثانياً : تفسير

فقد جاء في لسان العرب (فسر : الفسر : البيان ... التفسير والتأويل بمعنى واحد ، و الفسر : كشف المغطى) (Ibn .Manzur, 1414)

وفي المعجم الوسيط جاء تعريف التفسير بقول المؤلف (أفسر) الشيء وضحه ، وآيات القران الكريم شرحهاً ووضح ما تنطوي عليه من معان وأسرار وأحكام) (Ibrahim Mustafa, t.th). والخلاصة: أن التفسير في اللغة هو البيان والتوضيح لما تنطوي عليه آيات القران الكريم من معان وأسرار وأحكام.

ثالثاً : الكشاف للزمخشري

هو كتاب (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) للإمام أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري الملقب بجار الله (467هـ – 538هـ) وهو من أشهر التفاسير عند أهل العلم وأشهر التفاسير عند المعتزلة ، وقد اهتم فيه المؤلف بوجوه الإعجاز البياني في القرآن وجوانب المعاني والبلاغة وجمال نظم القرآن-al) .Khatib, 2001)

والخلاصة:ان تفسير الكشاف للزمخشري من أشهر كتب التفسير التي أهتمت بوجوه الإعجاز البياني في القران الكريم.

رابعاً : علماء

مأخوذه من العلم وقد عرفها صاحب لسان العرب بقول (العالم الذي يعمل بما يعلم ، والعلم نقيض الجهل ، ورجلٌ ، عالمٌ ، وعليمٌ ، من قوم علماء فيهما جميعاً) ثم قال في موضوع أخر (وصار علماء كحلماء لأن العلم محكمةٌ لصاحبه ، وعلى ذلك جاء عنهم فاحشٌ ، و فحشاء لما كان الفحش من ضروب الجهل و نقيضاً للعلم) (Ibn Manzur, 1414).

والخلاصة:أن كلمة العلماء في اللغة مأخوذة من العلم وهو نقيض الجهل ومفردها عالم.

خامساً : اليمن

جاء في لسان العرب: (وقيل لناحية اليمن يمنٌ ، لأنها تلي يمين الكعبة ،كما قيل ناحية الشام شأمٌ ، لأنها عن شمال الكعبة) (Ibn Manzur, 1414) .

سادسا: يمين

وجاء في المعجم الوسيط ((يمين)، (ييمن) يمنا اخذ ذات اليمين واتى اليمن ثم قال (تيمن) انتسب الى اليمن ... ، ثم قال (اليمن) البركة) (Ibrahim Mustafa, t.th).

والخلاصة:أن كلمة اليمن مأخوذه إما من كلمة اليمين وهي الجهة لأنها على يمين الكعبة أو اليمن التي يقصد بها البركة وذلك لكثرة البساتين التي كانت فيها.

التعريف بتفسير الكشاف ومؤلفه

التعريف بالمؤلف

للتعريف بالإمام الزمخشري نتناول حياته في جوانبها المتعددة بما يفيد متطلبات البحث دون التطويل في ذلك ، لتكون الصورة واضحة للقارئ ، فنتكلم عن ذلك في نقاط هي:

1- اسمه و نسبه:

هو جار الله أبو القاسم محمود بن محمد بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري.

2- مولده:

ولد في مدينة زمخشر من مدن بلاد تركمانستان وكان مولده في 27 من شهر رجب سنة (467 هـ-1074 م).

3- دراسته و ثناء العلماء عليه:

كان بداية طلبه للعلم في بخارى و سمرقند من بلاد خوارزم ، ثم رحل الى بغداد ليصحب كبار العلماء ،واخذ عنهم شتى العلوم ، ثم انتقل بعدها الى مكة المكرمة وأخذ العلوم عن علمائها ، ثم برع في تلك العلوم وبرز ، قال عنه السمعاني ((برع في الاداب و صنف التصانيف ، ورد العراق وخرسان ، وما دخل بلداً الا اجتمعوا عليه ، وتتلمذوا له ، وكان علامة نسابة وقال عنه ياقوت الحموي: (كان إماماً في التفسير وفي النحو و اللغة وفي الأدب ، واسع العلم ، كبير الفضل ، متفننا بعلوم شتى.)

وقال عنه كذلك ابن خلكان بقوله : (كان إمام عصره من غير مدافع ، يشد إليه الرحال في فنونه (al-Qafti, 1406)

4- شيوخه : تتلمذ الزمخشري على جماعة من علماء صره منهم:

i. ابو سعد الشقاني
ii. أبو الحسن على بن المظفر النيسابوري
iii. أبو مضر محمود بن جرير الضبي الاصبهاني
iv. ابو الخطاب رضو بن البطره
v. ابو الحسن علي بن عيسى بن حمزة.

5- تلاميذه : وتتلمذ على يديه مجموعة من العلماء منهم:

i. ابو طاهر احمد بن محمد السلفي

ii. زينب بنت عبدالرحمن الشعري
iii. أبو سعد أحمد بن محمد الشاشي
iv. أبو المحاسن عبدالرحيم بن عبدالله البزار
v. أبو المحاسن إسماعيل بن عبدالله الطويلي

6- صفاته :

ذكر علماء التراجم عدة صفات للزمخشري بجانب علمه الغزير وبراعته في العلوم من هذه الصفات انه كان ، ورعاً ، تقياً ، متواضعاً ، وحسن المعشر ، كما كان غزير التأليف ، بارعاً في النشر و الإنشاء و جزالة الالفاظ ولدية موهبة شعرية .

7 - مؤلفاته:

للامام الزمخشري مؤلفات متنوعه في شتى العلوم وفي التفسير و الحديث و اللغة وغيرها من ذلك:

a- اساس البلاغة
b- المستقصى في الامثال
c- الفائق في غريب الحديث
d- مقدمة الأدب
e- القسطاس في علم العروض
f- المفصل في صنعة الإعراب
g- المفرد المؤلف
h- الأنموذج
i-مشتبه اسامي الرواة
j- الرائض في علم الفرائض
k- اطواق الذهب في المواعظ
l- النصائح
m- كتاب الأمكنة و الجبال و المياه

n- مقامات الزمخشري

o- الكشاف في التفسير وهو ابرز واشهر مؤلفاته .

8- مذهبه العقدي:

كان الامام الزمخشري معتزلياً ، ويجاهر بذلك و معروف ذلك عنه عند العلماء ، ويظهر ذلك جلياً في كتابه الكشاف.

9- وفاته:

كانت وفاة الامام الزمخشري في سنة (538هـ) في ليلة عرفة ، قي مدينة خوارزم ، عن عمر يناهز 71 عاماً (al-Zahabi, 1963).

التعريف بتفسير الكشاف .

اشتهر هذا التفسير بتفسير الكشاف و اسمه (الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الاقاويل في وجوه التأويل). وقد ألفه الامام الزمخشري اثناء إقامته بمكة المكرمة ، هو تفسير بياني و بلاغي ، يكشف فيه مؤلفه عن وجوه الاعجاز البلاغي و اللغوي في القران الكريم ، فقد اعتنى الزمخشري بذلك كثيراً في بيان وجوه الاعجاز القرآني و جمال النظم و بلاغته ، فغدا هذا الكتاب مرجعاً في ذلك ، و يتميز ايضاً بخلوه من الحشو و التطويل ، وإيراد الاسرائيليات إلا القليل وقد اعتمد في تفسير ذلك على لغة العرب وأساليبهم في الخطاب ، وكان يستخدم اساليب تشويقية في عرضه للتفسير و المناقشات و ذلك مثل طريقة السؤال : (ان قلت فيكون الجواب قلت) ، ولهذه الطريقة تأثير جيد في ترسيخ المعاني في النفي واسلوب تعليمي مؤثر .

أما المآخذ التي تؤخذ عليه منها :

i. استخدامه الفاظ شديدة على المخالفين له وخصوصاً (اهل السنة) ، ويتكلم عليهم بأسلوب السخرية و الاحتقار و الاستهزاء .
ii. قلة بضاعته في الحديث ، فهو قليل الاستشهاد بالحديث ، ويورد احياناً الاحاديث الضعيفة و الموضوعة خصوصاً فيما يتعلق بفضائل السور .

iii. ظهور مذهبه الاعتزالي في تفسيره من خلال التأويل للآيات بما يتوافق مع عقائد المعتزلة والاستدلال لها ولكن بطريقه فيها حذق و ذكاء لايعرفها الا من له إلمام بعقائد المعتزلة و أفكارهم .

فتفسير الكشاف هو من ابرز مراجع المعتزلة ، فالذي يريد التعرف على عقائدهم وافكارهم في تأويل القران سيجد ذلك في تفسير الزمخشري وقد قال البلقيني (al-Zahabi, 1963) : (اخرجت من الكشاف إعتزاليات بالمناقيش) ونجد ايضاً ان الامام الزمخشري لايتوسع في تفسيره في المسائل الفقهية ، وإذا اوردها لا يتعصب لمذهبه الفقهي الحنفي.

اما بالنسبة لإهتمامه بعقائد المعتزلة فقد نحى ذلك في تفسيره من خلال فهمه للاصول الخمسة عند المعتزلة (العدل – التوحيد – الوعد و الوعيد– المنزلة بين منزلتين – الامر بالمعروف و النهي عن المنكر) ومن تلك العقائد التي انتصر فيها للمعتزلة ما يلي:

1- رأيهم في اصحاب الكبائر ، بأنهم كفار مخلدون في النار ان لم يقلعوا عن الذنب ويتوبوا

2- قولهم في الحسن و القبح العقليين فيرون ان العقل السليم قادر على تحديد القبح و الحسن .

3- وقولهم ايضاً في السحر ، فهم يرون ان السحر لا يقع و لايؤمنون به من حيث تغير طبيعة المواد .

4- ورأيهم في حرية الإرادة وخلق العباد لأفعالهم لإستحقاق الوعد او الوعيد من الله عز وجل كما يقول بذلك المعتزلة.

5- عدم ايمانهم برؤية الله سبحانه وتعالى و إستحالة ذلك كما يقول بذلك المعتزلة .

وكتاب الكشاف هو التفسير الوحيد من تفاسير المعتزلة الذي يتناول تفسير القران كله ، فكأنه شاملاً لأفكار المعتزلة التي تتصل بالقران الكريم ، وعليه الاعتماد لديهم في أفكارهم وآرائهم الاعتزالية .

وقد تكلم الكثير من العلماء عن هذا التفسير ، وحاز منهم الإهتمام سواء كانوا من اهل السنة او من غيرهم من الفرق الإسلامية ، لما تميز به هذا التفسير من توضيح لمعاني القران الكريم واعجازه البياني و البلاغي وقد امتدحهُ هؤلاء العلماء فيما يبرع فيه الزمخشري من القدرة البلاغية و استخراج المعاني و الاعجاز القرآني إلا انهم اخذوا عليه ، الجوانب الإعتزالية لنصرة عقيدته التي اكثر منها في كتابه وتأويله لنصوص القران محاولة منه لنصرة أفكاره الاعتزالية. وايضاً طريقة السخرية و الاستهزاء التي كان يأتي بها في معرض الرد على المخالفين لعقيدته ، و

التشنيع أيضاً في ذلك على علماء السنة للخلاف الذي بينهم وبين المعتزلة ومع ذلك للإنصاف فالكتاب يعتبر متفرداً في طريقته واسلوبه في كشف أسرار بلاغة القران الكريم وإعجازه ، وجمال معانيه ، مع الإنتباه و الحذر من جوانبه الاعتزالية.

ونذكر هنا بعض وجوه الإعتزاليات التي أوردها الزمخشري في كتابه و التي لا ينتبه لها كثير من الناس و من ذلك:

1- يتكلم الزمخشري عن تفسير قوله تعالى : (الذين يؤمنون بالغيب) فيقول (مانصه فإن قلت ما الايمان الصحيح قلت ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن أخل بالإعتقاد وأن شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق) فهو يشير الى ماذكر سابقاً الى مايسمى عند المعتزله بالمنزلة بين المنزلتين ، وهو منزلة الناس بين المؤمن و الكافر .

2- وفي قوله تعالى : (ومما رزقناهم ينفقون) يقول (واسناد الرزق الى نفسه للإعلام بانهم ينفقون الحلال المطلق الذي يستأهل ان يضاف الى الله) ،وهذا إشارة منه الى ان الرزق الحلال من الله و ان الرزق الحرام من العبد .

3- وفي قوله تعالى : (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) يقول (ولاغاية للفوز وراء النجاة من سخط الله و العذاب السرمدي رضوان الله و النعيم المخلد) وفي ذلك إشارة وتعريض منه لعقيدة المعتزلة في إنكار رؤية الله سبحانه وتعالى و اثبات هذه العقيدة (al-Zurqani, t.th).

هذه بعض الامثلة عن الاعتزاليات الموجودة في تفسير الكشاف ، وقد تتبعها بعض العلماء و ألفوا فيها المؤلفات ، لإشتهار هذا الكتاب بين الناس.

تفسير الكشاف في المقررات العلمية للطلاب في المدارس والمراكز العلمية من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر الهجري في اليمن.

اولى علماء اليمن إهتماماً بارزاً بتفسير الكشاف للزمخشري وخصوصاً علماء المذهب الزيدي لتأثرهم بعقيدة الاعتزال و التي تتوافق مع عقيدة الامام الزمخشري ، وظهر هذا الاهتمام جلياً من خلال المقررات التعليمية للطلاب في المدارس و هجر العلم التي ظهرت في مناطق المذهب الزيدي ، اضافةً الى تأثر بعض المناطق الشافعية بهذا الكتاب

وكذلك ظهر هذا الاهتمام من قبل علماء التفسير في اليمن بهذا الكتاب دراسةً و تدريساً وتأليفاً ، ونذكر هنا مقتطفات من دراسة هؤلاء العلماء واهتمامهم بهذا الكتاب كدلالة على تأثير هذا الكتاب على المناهج التعليمية المقررة على الطلاب و المدارس العلمية في اليمن و من ذلك:

1- ما أورده الأكوع في كتابه المدارس الإسلامية في اليمن عند ذكره للكتب المعتمدة في مجال التفسير والتي كانت تدرس في المدارس اليمنية في القرون المتتالية كتاب (الكشاف) للزمخشري ،بقوله (وفي التفسير (الكشاف) للزمخشري) وهذا فيه دلالة على أن كتاب الكشاف للزمخشري كان من أهم الكتب في المناهج التعليمية في المدارس اليمنية طوال عدة قرون .

2- وجاء في كتاب الحوثيين والمعتزلة قول المؤلف وهو يتحدث عن علاقة الحوثيين بالمعتزلة وتأثرهم بفكرهم قول مؤسس الحركة الحوثية بدر الدين الحوثي قوله(أن الزيديين يميلون إلى قراءة الكشاف ،تفسير الزمخشري (ت538هـ) ويعتمدون عليه إعتماداً كبيراً،ويمتدح هذا التفسير بقوله (ونعم التفسير هو (Ahmad Taha, .t.th)

3- وقد أورد صاحب كتاب الحياة العلمية في اليمن اسماء المقررات العلمية في المدارس اليمنية من المرحلة الثانية من التعليم في هذه المدارس، فذكر مقررات التفسير وذكر من بينها كتاب (الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري، وذكر ايضا تاثر ائمة المعتزلة وعلمائهم في علماء المذهب الزيدي ونقل في ذلك قول الامام الهادي بن ابراهيم الوزير (ت822هـ-1419م) أحد أبرز علماء المذهب الزيدي في اليمن وهو يتحدث عن العلاقة بين فرقة الزيدية وفرقة المعتزلة (al-Ahjari, 2008)

4- وذكر صاحب كتاب المفسرون في اليمن في معرض حديثة عن تأثير الفكر الاعتزالي على الحياة العلمية في اليمن فقال (ومن الائمة الذين قاموا بإرسال دعاة وكتاب الى خارج اليمن لاستنساخ الكتب والمصنفات, وخاصة مؤلفات المعتزلة: الامام المنصور بالله عبدالله بن حمزة المتوفي سنة 614هـ) ثم قال معلقا على ذلك (وبسبب التقارب الوثيق والعلاقة الحميمة بين الفكر المعتزلي والزيدي وبجهود بعض أئمة الزيدية في جمع ونسخ كب المعتزلة ومصنفاتهم, حفظت مكتبات اليمن العامة والخاصة تراث المعتزلة, مما كان لهذا التراث أعظم الاثر على مسيرة الحياة العلمية في شتى انواع حركاتها التعليمية والتاليفية) (Ali Hassan, 1436).

5- جاء في ترجمة الشيخ عبدالحفيظ بن عبدالله المهلا الهدوي الشرفي من علماء اليمن في القرن الحادي عشر في معرض التعريف به وبالعلوم التي درسها والكتب التي قرأها على العلماء في مرحلة طلبه للعلم فكان منها كتاب الكشاف للزمخشري، وكتاب تجريد الكشاف للسيوطي فهذا دلالة على الاهتمام بهذا الكتاب من قبل طلاب العلم في اليمن في مراحل التاهيل العلمي لانفسهم (al-Dimashqi, t.th).

6- وكذلك جاء في ترجمة الشيخ علي بن الحسن بن محمد بن الحسن بن عيسى انه من كثرة دراسته وقراءته للكشاف كان يستظهر أغلبه غيباً (al-Dimashqi, t.th).

7- وقال صاحب خلاصة الاثر وهو يترجم للشيخ محمد بن ابراهيم بن المفضل بن يحيى شرف الدين انه قرأ الكشاف على بعض مشايخ صنعاء، فالملاحظ ان كتاب الكشاف للزمخشري أحد أهم الكتب في التفسير الني كان يقرأها المشايخ على طلابهم في علم التفسير (al-Dimashqi, t.th).

8- وهذا الشيخ مصطفى بن علي بن لقمان الضمدي اليمني من علماء القرن الحادي عشر الهجري جاء في ترجمته أنه قرأ الكشاف على شيخه السيد داود(al-Dimashqi, t.th).

الخلاصة: يبظهر من خلال ما تم استعراضه عن الحياة العلمية في اليمن ومقررات المناهج العلمية التي كانت تدرس في اليمن في المدارس العلمية أن علماء اليمن وخصوصاً مناطق انتشار المذهب الزيدي قد أولوا كتاب الكشاف للزمخشري اهتماماً كبيراً فأدخلوه في مقررات التعليم في مدارسهم العلمية, ودرسوه أيضا للعامة في مساجدهم، والناظر الى تراجم علماء اليمن في القرون من التاسع حتى الحادي عشر الهجري يجد من ضمن الكتب التي قرأوها على مشايخهم كتاب الكشاف للزمخشري, فيتبين من ذلك مدى التأثير الذي أوجده هذا الكتاب على فكر علماء اليمن خصوصا علماء المذهب الزيدي.

أثر تفسير الكشاف على مؤلفات علماء اليمن في التفسير في القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر الهجري

فيما سبق تكلمنا عن أثر تفسير الكشاف للزمخشري في مقررات المناهج العلمية لطلاب العلم في المدارس اليمنية بما انعكس تأثيرا فكرياً على علماء اليمن خصوصاً علماء المذهب الزيدي وظهر ذلك جلياً في مؤلفاتهم في التفسير في الفترة الزمنية محط الدراسة، حيث اهتموا بتفسير الكشاف دراسةً واختصاراً وشرحاً، أو التأليف على منواله وطريقته، وفي هذا المبحث نتكلم عن هذه المؤلفات ونضرب بعض الامثلة منها للدلالة على تأثير هذا الكتاب على هؤلاء العلماء. ونستعرض فيه وجوه التأثير من ذلك ما يلي:

1- الامام، عبدالله بن الهادي بن يحيى بن حمزة المؤيد بالله (ت210هـ) له مؤلف في التفسير سماه (الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف) وهو لا يزال مخطوطة لم يطبع, ويظهر تأثر المؤلف بالفكر الاعتزالي في كتابه هذا من خلال مقدمته التي ذكر فيها سبب تأليفه للكتاب امتدح فيها كتاب الكشاف وما فيه من معاني وافكار وانه لم يؤلف مثيلاً له, ويظهر ايضاً تأثره الشديد بفكر الاعتزال في تفسيره لآيات الصفات وفق أصول المعتزلة ومعتقداتهم وقد سعى المؤلف في كتابة هذا إظهار العقيدة المعتزلية والاشادة بها وقام بنقل أكثر الاعتزاليات التي في كتاب الكشاف للزمخشري ونقلها في كتابه هذا ونضرب الامثلة لذلك بما يلي:

أ- في تفسيره لآية الكرسي، ذكر كلام الزمخشري في ذلك بقوله (قال: رضي الله عنه، وفضلت هذه الآية كما فضلت سورة الاخلاص لاشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى، ولا مذكور أعظم من رب العزة، فما كان ذكر له كان أفضل من سائر الاذكار، وبهذا تعلم أن أشرف العلوم علم أهل العدل والتوحيد) (Hassan ʻAli, 1436).

ب- وفي قوله تعالى (شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم) (ال عمران:18) تكلم المؤلف مادحاً علماء المعتزلة وقدراتهم العلمية بقوله والمراد بأولي العلم الذي عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على عدله ووحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة هم علماء علم العدل والتوحيد) (Hassan ʻAli, 1436) .

ت- وفي موضع آخر عند قوله تعالى (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون) فقال (الخداع أن يوهم الانسان صاحبه خلاف ما يريده من المكروه، ولا يجوز على الله أن يخدع,لأنه عالم, ولا أن يخدع لأنه قبيح) فقوله قبيح هنا يؤصل العقيدة المعتزلة في التحسين والتقبيح العقلي. (Hassan ʻAli, 1436)

ث- وفي تفسيره لقوله تعالى: (واتقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفس شيئاً ولا تقبل منها شفعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) (البقرة:48)، قام بإيراد كلام الزمخشري فقال (قال رضي الله عنه: وفي هذا دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة. وإذا تتبعنا أقوال المؤلف في تفسيره هذا نجد أنه تأثر تأثراً واضحاً بأفكار المعتزلة ومعتقداتهم بل دافع عنها وأصلها وأعتمد في ذلك على كثرة النقولات من كتاب الكشاف للزمخشري, وهذا يدل على مدى التأثير الذي تركه كتاب الكشاف على فكر علماء الزيدية وانعكاس ذلك على مؤلفاتهم التفسيرية (Hassan ʻAli, 1436) .

2- (تجريد التفسير من الكشاف مع زيادة نكت لطاف) وهو من مؤلفات الامام علي بن محمد بن أبي القاسم ابن الامام المنصور اليمني (ت837هـ) من علماء المذهب الزيدي، والمتتبع لهذا التفسير يجد ا المؤلف ينقل أقوال أئمة الاعتزال وافكارهم الاعتقادية وأصولهم في تفسير آيات الصفات، وكتابه هذا لا يزال مخطوطة، ومن أمثلة الاعتزاليات التي نقلها في تفسيره ما يلي:

أ- عند قوله تعالى: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) (الفتح:10) ذكر أن هذا إنما هو على طريقة التخييل والتمثيل فقال (أي: الحال مثل حال من يبايع ذوي الأيدي فيكون يده فوق يده، والمراد بهذا التمثيل التاكيد الذي يتبعه مزية فضل مبايعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتلك البيعة، وتعظيم النكث والله متعال عن الاعضاء والجوارح.

ب- وفي قوله تعالى (فسنيسره للعسرى) (الليل:10)، فقال (إما يراد أعمال الشر، وإما أن يراد النار، فان قيل: كيف يصح هذا وعندكم اللطف واجب والمفسدة قبيحة؟ قلنا: المراد أن الله يلطف بالاول لوجود اللطف في حقه وتأثيره فيه، ولا يلطف بالثاني لعدم قبوله وتأثير اللطف فيه، فيكون فعل اللطف له عبثاً)

3- وكتاب المصابيح الساطعة الانوار المجموعة من تفسير الأئمة الاطهار (تفسير أهل البيت), للعلامة عبدالله بن احمد بن إبراهيم بن القاسم الحسني الشرفي وهو من علماء الزيدية توفي سنة (1062هـ).

في هذا التفسير قام المؤلف بتبيين دور آل البيت في تفسير القرآن الكريم ويسرد الأدلة على ذلك, وقد اعتمد في هذا التفسير على تقديم المعاني البيانية لكلمات القرآن دون الاسهاب والتطويل في ذلك, ويظهر تاثره بالفكر المعتزلي خصوصاً عند تفسيره للآيات التي فيها مسائل الاعتقاد, مثل رؤية الله سبحانه وتعالى, فكان يكثر إيراد الادلة للسابقين بتأويل الآيات القرآنية بما ينتصر لمذهبهم المعتزلي،وتأثرا بتفسير الكشاف.

4- الاتحاف لطلبة الكشاف)، للعلامة صالح بن مهدي بن علي بن منصور المقبلي، ولد سنة (1040هـ) وفي هذا الكتاب قام المؤلف بالشرح والتوضيح لعبارات وغوامض كتاب الكشاف للزمخشري، وكشف اسراره البلاغية، إلا انه انتقد الزمخشري في اعتزالياته و مخالفاته العقدية معتمداً طريقة السلف الصالح في العقيدة والمنهج. وكان منهجه في ذلك هو الانتقاد والمخالفة في كثير من مواطن الاعتزال الذي حواها كتاب الكشاف للزمخشري مع تأثره في الجانب الاخر بالكشاف في مواضع البلاغة وأسرار المعاني، ومن الامثلة على الانتقادات والمخالفات التي تتبعها المقبلي ورد عليها في كتابه هذا ما يلي:

أ- في قوله تعالى (تسبح له السماوات السبع والارض ومن فيهن، وان من شي الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفوراً) (الاسراء:44) فقد قال في ذلك (ذهب الزمخشري الى القول فيها بالتأويل، وأن المعنى الها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته). فالمقبلي رد هذا التأويل وأخذ بظاهر اللفظ وحقيقته، وأتى لذلك بأدلة من الكتاب والسنة، وأن السموات السبع والارض وكل شي يحسن الثناء عليه، فلا داعي لهذه التاويلات فيؤخذ اللفظ على ظاهره وحقيقته.

ب- وفي قوله تعالى (يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون) (السجدة:5) علق المقبلي على هذه الاية وهو ينتقد قول الزمخشري فيها فقال (في الكشاف تفاسير للاية نابية, وأشدها نبوة أولها وهو أن المعنى أنه لا يصعد الى الله عمل خالص إلا في هذا المقدار, وليت شعري أي عقل أي سمع أو أي لفظ لغوي يؤخذ منه هذا, وكأنه اخترعه الزمخشري لنفسه الوعيدي, يكاد أن يقنط الناس من رحمة الله التي وسعت كل شيء وسبقت غضبه.

5- وهذا العلامة محمد بن يحيى بهران (833هـ-957هـ) من علماء الزيدية ألف عدة كتب متاثراً فيها بالكشاف للزمخشري هي:

أ- التفسير الجامع بين الزمخشري وابن كثير.
ب- التكميل الشاف في كشف معاني الكشاف، ولا يزال مخطوطة.
ت- الكاشف عن غوامض الكشاف.

6- وكتاب (تحفة الأشراف في كشف غوامض الكشاف)، من مؤلفات العلامة يحيى بن القاسم في القرن التاسع الهجري, وكان متاثراً بكتاب الكشاف للزمخشري) وقد تم تحقيق الكتاب من قبل ابراهيم عبدالحميد السيد وقدم كأطروحة دكتوراه في جامعة الازهر, مصر- القاهرة, 1981م. وله مؤلف آخر في التفسير ايضاً مرتبط بكتاب الكشاف للزمخشري هو (درر الاصداف في كشف غوامض الكشاف) (al-Zarkali, 2002). وقد ذكر العلامة يحيى بن القاسم سبب تاليفه كتاب تحفة الاشراف في كشف غوامض الكشاف, وكذلك ذكر كتاب درر الاصداف فقال في مقدمة كتابه تحفة الاشراف (هذا ولما وقفت على حواش كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل ودقائق المعاني والبيان والتأويل, للعلامة الأفضل, المحقق شرف الدين الطيبي أطاب الله ذكره وأطال عمره, ووجدتها مملؤة بالنكت والفوائد , مشجونة باللطائف والفرائد, مذكوراً فيها ما ذكره صاحب الانتصاف والارضاف, وما ذكره غيرهما من فضلاء الأئمة الأشراف, وذلك بعد فراغي من كتابي المسمى بدرر الأصدف عن حل عقد الكشاف, أحببت أن أجمع كتاباً اخر, أجمع فيه بين ما ذكر في الكتابين من الأبحاث اللطيفة, والنكت الشريفة, ألتزم فيه الذب عن المصنف بقدر الوسع والامكان).

7- كتاب (حاشية على تفسير الكشاف) للعلامة، صالح بن داود الانسي (ت1060هـ)، وهو لا يزال مخطوطة في مكتبة الاوقاف في مدينة صنعاء في اليمن برقم (61).

8- منح الالطاف في تكميل حاشية السعد على الكشاف, للعلامة الحسين أحمد بن محمد الجلال المتوفي (1084هـ), والكتاب مخطوطة موجودة في مكتبة الجامع الكبير بمدينة صنعاء في اليمن برقم (62) , وقد حفظ أحد الطلاب جزء من هذا الكتاب كأطروحة علية لنيل درجة الماجستير من جامعة إب اليمنية في تخصص التفسير وعلوم القرآن وسماه (حاشية الجلال على تفسير الكشاف المسمى منح الالطاف في تكميل حاشية السعد على الكشاف) من أول سورة النمل الى اخر سورة يس دراسة وتحقيق وهذا المؤلف يدل ايضاً على تاثر علماء اليمن بالكشاف للزمخشري.

الخلاصة:

من خلال ما تم استعراضه من مؤلفات لعلماء اليمن في التفسير والتي لها علاقة بتفسير الكشاف للزمخشري اما شرحاً أو اختصاصاً أو توضيحاً لبعض غوامضه أو تعليقاً عليه أو حواشي أو اقتباساً منه, يدل دلالةً واضحة على مدى الاهتمام الذي اولاه علماء اليمن لهذا الكتاب وتاثرهم به والتأليف على منواله وبذل الجهود والاوقات لدراسته والتأليف عليه, ويدل ايضاً على أهمية هذا الكتاب بالنسبة لعلماء اليمن في دراساتهم العلمية التي أخذوها في محاضنهم ومراكزهم العلمية, والتي انعكست بوضوح في هذا الاهتمام الكبير والاحتفال بهذا الكتاب.

الخاتمة:

وفي الختام يمكن تلخيص البحث في الاتي:

1. اهتمام علماء المسلمين في شتى العصور بكتاب الله تعالى شرحاً لمعانيه وتوضيحاً وتفسيراً لآياته باعتباره المصدر الاول للتشريع
2. الاهتمام الكبير من قبل علماء المسلمين ايضاً بالإعجاز البياني للقرآن الكريم والذي أظهر معجزة القرآن الكريم وأثبت أنه كلام الله عزوجل.
3. كتاب الكشاف للزمخشري من أهم كتب التفسير التي اهتمت بالإعجاز البياني للقرآن الكريم والذي أصبح مرجعاً لعلماء التفسير على مر العصور حتى الان.
4. هناك توافق وتقارب كبير في جانب التصور العقدي بين الزيدية والمعتزلة، يظهر ذلك في مؤلفاتهم العقدية والتفسيرية للقرآن الكريم.
5. كتاب الكشاف للزمخشري كان مرجعاً مهماً لعلماء اليمن خصوصاً علماء التفسير سواءً كانوا من الزيدية أو الشافعية.
6. ظهر تأثر علماء التفسير في القرن التاسع والعاشر والحادي عشر من الهجرة في اليمن خصوصاً أتباع المذهب الزيدي بكتاب الكشاف للزمخشري سواءً الاهتمام بالجوانب البيانية في القرآن الكريم، أو التأثر بأصول المعتزلة عند تفسيرهم لآيات العقائد.
7. المدارس والمراكز العلمية في اليمن كان من ضمن مقرراتهم العلمية في التفسير كتاب الكشاف للزمخشري والذي كان يدرس في بعض المراحل العلمية.

8. علماء اليمن وخصوصاً منهم الزيدية خدموا كتاب الكشاف للزمخشري مدخلاً لمؤلفاتهم عليه, توضيحاً وشرحاً, أو تعليقاً واختصاراً, فكان لهم دور في إبراز هذا الكتاب وجعله في حيز اهتمام علماء التفسير في اليمن.

النتائج

من خلال دراستي لهذا الموضوع وهو تأثير كتاب الكشاف للزمخشري على علماء اليمن في القرن التاسع حتى الحادي عشر الهجري، وصلت إلى هذه النتائج:

1) أن هناك تأثر متبادل بين الزيدية والمعتزلة في أصول العقائد ظهر ذلك جلياً في مؤلفاتهم العقدية والتفسيرية للقرآن الكريم.
2) وضوح تأثير كتاب الكشاف للزمخشري على علماء اليمن في القرون الثلاثة سواءً كانوا زيدية او شافعية، لكن تأثيره على الزيدية كان في أصول العقائد، بعكس الشافعية الذي كان تثيره عليهم فقط في جانب الاهتمام بالإعجاز البياني للقرآن. للاختلاف العقدي معهم.
3) أن تأثير كتاب الكشاف على علماء الزيدية ليس بالضرورة التوافق معه في أصوله المعتزلية من كل علمائهم، فالبعض منهم انتقد هذه الاصول ورد عليها.
4) ان كثيراً من كتب التفسير التي اؤلفت في هذه القرون الثلاثة خصوصاً من قبل علماء الزيدية كانت مرتبطة بكتاب الكشاف بصوره من الصور، ما بين شرحاً له أو توضيحاً لمعانيه أو حاشية عليه أو تعليماً أو تجريداً له من جوانبه الاعتزالية، أو رداً عليه في اطروحاته العقدية.
5) لعلماء اليمن جهود لا تنكر في خدمة كتاب الكشاف وإبرازه وجعله في دائرة الاهتمام لدى علماء التفسير في اليمن.
6) كثير من مؤلفات التفسير لعلماء اليمن في هذه القرون لازالت مخطوطات تحتاج الاهتمام بها من قبل الباحثين والدارسين، لإخراجها الى حيز الاهتمام والانتفاع بها لما تحتويه من فوائد في التفسير.

References

Ahmad bin Muhammad. 1997. *Al-Adnah min ‘Ulama al-Qarn al-Hadi ‘Ashar*. Al-Sa’udiyyah: Maktabah al-‘Ulum wa al-Hikam.

Ahmad Mukhtar, ‘Abd al-Hamid ‘Ammu et.al., 2008. Mu’jam al-Lughah al-‘Arabiyyah al-Mu’asirah. t.tp.: ‘Alim al-Kutub.

Al-‘Asqalani, Ibn Hajar Ahmad bin ‘Ali bin Muhammad al-Kannan. 2002. *Lisan al-‘Arab*. t.tp.: Maktab al-Matbu’at al-Islamiyyah.

Fahd bin ‘Abd al-Rahman al-Rumi. 2003. *Dirasat fi ‘Ulum al-Qur’an*. t.tp.: t.pt.

Hasan Muhammad Ayyub. 2004. *Al-Hadith fi 'Ulum al-Qur'an wa al-Hadith*. Al-Iskandariyyah: Dar al-Salam.

Ibn Khalkan, Abu al-'Abbas Shams al-Din Ahmad bin Muhammad bin Ibrahim bin Abi Bakr Ibn al-Barmaki. t.th. *Wufyat al-'A'yan wa Anba' Abna' al-Zaman*. Beirut: Dar Sadr.

Ibn Manzur, Muhammad bin Mukram bin 'Ali. 1414. *Lisan al-'Arab*. Beirut: Dar Sadr.

Ibrahim Mustafa, Ahmad Hasan al-Ziyat, Hamid Abdul Qadir, Muhammad Ali al- Najjar. 1972. *Al-Mu'jam al-Wasit*. Kaherah: Maktabah al-Islamiyah Istanbul.

Al-Khatib, Muhammad 'Ajaj bin Muhammad. 2001. *Lamhat fi al-Maktabah wa al-Bahth wa al-Masadir*. t.tp.: Mu'assasah al-Risalah.

Muhammad bin Muhammad bin Wasuwaylam Abu Shahbah. t.th. *al-Isra'iliyyat wa al-Mawdu'at fi Kutub al-Tafsir*. t.tp.: Maktabah al-Sunnah.

Al-Qafti, Jamal al-Din Abu al-Hasan 'Ali bin Yusuf. 1982. *Inbah al-Ruwah 'ala Anba' al-Nuhat*. Qahirah: Dar al-Fikr al-'Arabi.

Al-Qattan, Mana' bin Khalil. 2000. *Mabahith fi 'Ulum al-Qur'an*. t.tp.: Maktabah al-Ma'aarif li al-Nashr wa al-Tawzi'.

Al-Suyuti, 'Abd al-Rahman bin Abi Bakr Jalal al-Din. 1974. *Al-Itqan fi 'Ulum al-Qur'an*. Mesir: al-Hay'ah al-Misriyyah al-'Ammah li al-Kitab.

Al-Suyuti, 'Abd al-Rahman bin Abi Bakr Jalal al-Din. t.th. *Bughyat al-Wi'at fi Tabqat al-Lughawiyyin wa al-Nuhat*. Lubnan: al-Maktabah al-'Asriyyah.

Al-Zabidi, Muhammad bin Muhammad al-Hassan al-Murtada. t.th. *Taj al-'Urus min Jawahir al-Qamus*. t.tp.: Dar al-Hidayah.

Al-Zahabi, Muhammad Sayyid Husayn. *Al-Tafsir wa al-Mufassirun*. t.tp.: al-Qahirah: Maktabah Wahbah.

Al-Zahabi, Shams al-Din Abu 'Abd Allah Muhammad bin Ahmad bin Uthman bin Qaymaz. *Mizan al-'Itidal fi Naqd al-Rijal*. Bayrut: Dar al-Ma'rifah.

Al-Zahabi, Shams al-Din Abu 'Abd Allah Muhammad bin Ahmad bin Uthman bin Qaymaz. *Sir al-'A'lam al-Nubala'*. Mesir: Dar al-Hadith.

Al-Zarkali, Khayr al-Din bin Mahmud bin Muhammad bin 'Ali bin Faris. 2002. *Al-'Alam*. t.tp.: Dar al-'Ilm al-Malayin.

Al-Zurqani, Muhammad 'Abd al-'Azim. t.th. Manahil al-Furqan fi 'Ulum al-Qur'an. t.tp.: t.pt.